اتباع الهوى

مُقَدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن اتباع الهوى عن الخير صادّ، وللعقل مضادّ؛ لأنه يُنتج من الأخلاق قبائحها، ويُظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكاً، ومدخل الشر مسلوكاً.

الهوى مطية الفتنة، والدنيا دار المحنة، فانزِل عن الهوى تسلم، وأعرض عن الدنيا تغنم، ولا يغرنك هواك بطيب الملاهي، ولا تفتننك الدنيا بحسن العواري، فمدة اللهو تنقطع، وعارية الدهر تُرتجع، ويبقى عليك ما ترتكبه من المحارم، وتكتسبه من المآثم.

الهوى هو العدو الأعظم الذي يجب على الإنسان أن يقاتله ويحاربه أشد مما يحارب أي عدو، يقول أبو حازم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قاتل هواك أشد مما تقاتل عدوك»[1].

الهوى هو أساس كل فتنة، وسبب كل بلية.

يا نَفسُ تُوبي فَإِنَّ المَوتَ قَد حانا ... واعصِ الهَوَى فالهَوَى ما زالَ فَتّانا

ولما كان هذا شأن الهوى؛ وجب الحديث عنه حتى نبتعد عن هذا المرض الخطير، والشر المستطير.

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ٢٣١).

وسنتطرق في هذا الفصل إلى تعريف الهوى، وأضراره، وفوائد مخالفته، وأسباب اتباعه، وطرق علاجه، والفرق بين المحمود منه والمذموم.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة وإخراجها بالصورة المرضية.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊

تعريف الهوى

الهوى في اللغة:

مصدر (هَويَه) إذا أحبَّه واشتهاه[١].

الهوى في الاصطلاح:

هو: مَيلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل خُلِق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم والمشرب والمنكح ما أكل ولا شرب ولا نكح، فالهوى مستحث له لما يريده، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذيه»[٣].

❊ ❊ ❊

(١) المغرب في ترتيب المعرب (٢/ ٣٩٢).

(٢) التعريفات للجرجاني (ص٣٢٠).

(٣) روضة المحبين (ص٤٦٩).

النهي عن اتباع الهوى

تواطـأت الأدلـة الشرعية على النهي عـن اتباع الهوى، وقد نهجت هـذه الأدلة أكثر من منهج وطريق لأجل ذلك:

فتارة يأتي الدليل في النهي عن الهوى مطلقاً:

قال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا﴾ [النساء: ١٣٥].

وقـال تعـالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

وتارة يأتي الدليل في النهي عن اتباع أهواء أهل الكفر والضلال:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

وأمر سبحانه نبيه أن يقول للكفار: ﴿قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦].

وقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال سبحانه: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الشورى: ١٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

فأضاف الله عَزَّوَجَلَّ الهوى إلى الكفار والمشركين؛ لأن أهواءهم ضالة عن الحق، بخلاف المؤمن، فإن الكافر هواه كله باطل، والمؤمن قد يرتقي هواه حتى يصير موافقاً لما أمر به سبحانه، وتابعاً لما جاء به النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فإذا مال إلى شيء كان ذلك الشيء سنة وطاعة، وعلى أدنى الأحوال قد يكون مباحاً. قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم﴾ [محمد: ١٤].

وتارة يرد الدليل بذم الهوى المضاف إلى النفس الأمارة بالسوء:

عن أبي يعلى شداد بن أوس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**العاجِزُ مَن أَتبَعَ نَفسَهُ هَواها**»(١).

وقد يرد الدليل بذم الهوى المضاف إلى القلب:

عن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: سمعت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**تُعرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ كالحَصِيرِ عُوداً عُوداً، فَأَيّ قَلبٍ أُشرِبَها نُكِتَ فيهِ نُكتَةٌ سَوداءُ، وَأَيُّ قَلبٍ أَنكَرَها نُكِتَ فيهِ نُكتَةٌ بَيضاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلبَينِ: عَلَى أَبيَضَ مِثلِ الصَّفا، فَلا تَضُرُّهُ فِتنَةٌ ما دامَتِ السَّماواتُ والأَرضُ، والآخَرُ أَسوَدُ مُربادّاً كالكُوزِ مُجَخِّياً، لا يَعرِفُ مَعرُوفاً وَلا يُنكِرُ مُنكَراً إِلّا ما أُشرِبَ مِن هَواهُ**»(٢).

فأضاف الهوى إلى القلب.

❊ ❊ ❊

(١) رواه ابن ماجة (٤٢٦٠)، والحاكم (٧٦٣٩)، وصححه، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجة.

(٢) رواه مسلم (١٤٤).

متى يُعاقَب الإنسان على هواه؟

الهوى شيء ملازم للإنسان، لا يستطيع مفارقته ولا تركه، فالله جبل النفس البشرية على ذلك، فهل يعاقب الإنسان على هواه وشهوته كلما هوى واشتهى؟!

وهل الإنسان مطالبٌ باستخراج الهوى من نفسه وقلبه، ونبذه خارجاً عنه؟!

أم أن لذلك ضوابطَ وحدوداً؟!

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نفس الهوى والشهوة لا يعاقب عليه، بل على اتباعه والعمل به، فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهاها؛ كان نهيه عبادة لله، وعملاً صالحاً»(١).

فهذه هي حال المسلم الصادق؛ لا تزال نفسه تأمره بكذا وكذا، وهو يجاهدها وينهاها عن مساوئ شهواتها، ويخاف ربه في تلك المقامات التي تأمره بها، ومن كانت هذه حاله فله الجزاء الحسن، قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

فالهوى لا يعاقَب عليه إلا عند العمل به، فالرجل قد يهوى المعصية ويتمناها، فإذا صدَّق ذلك بالعمل حُوسب على هواه وعمله.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كُتِبَ عَلَى ابنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنا، مُدرِكٌ ذَلِكَ لا مَحالَةَ: فالعَينانِ زِناهُما النَّظَرُ، والأُذُنانِ زِناهُما الِاستِماعُ، واللِّسانُ زِناهُ الكَلامُ، واليَدُ زِناها البَطشُ، والرِّجلُ زِناها الخُطا، والقَلبُ يَهوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الفَرجُ وَيُكَذِّبُهُ**»(٢).

❋ ❋ ❋

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٣٥).

(٢) رواه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧). واللفظ لمسلم.

أسباب اتباع الهوى

إن اتباع الهوى له أسباب عدة، تدعو الناس إليه، فلماذا يتبع الناس أهواءهم؟، ولماذا يعرِضون عن الحق واتباع الصراط المستقيم؟

لذلك عدة أسباب، منها:

أولاً: عدم التعود على ضبط الهوى من الصغر:

قد يلقى الطفل في صغره من أبويه حباً مفرطاً، وحناناً زائداً، حيث يلبيان له جميع رغباته، ويأتيانه بكل ما يشتهيه ويتمناه، لا يفرقان بين حرام وحلال، أو بين ممنوع ومسموح.

فإذا نام عن صلاة الفجر تركه والداه وقالا: مرهق نعسان، وإذا أراد لعبةً من الألعاب أتياه بها وتغاضيا عما فيها من الموسيقى، أو المناظر الخليعة، وله سائق خاص، يذهب به حيث يريد.

فينشأ الطفل على اتباع هواه، كلما أراد شيئاً حصَّله وفعله، لا يردعه رادع، ولا يمنعه وازع، حتى إذا بلغ مبلغ التكليف انطلق هواه شرقاً وغرباً، وركضت جوارحه خلف هواه لتحقيق تلك الأماني والأحلام، خاصةً مع فترة المراهقة، فيفعل الجرائم العظام، والأمور الكبار، وليس من سبيلٍ لدفعه عن ذلك ولا منعه.

وقد عمل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في تربية أبنائهم على اعتياد ضبط النفس منذ الصغر، فكانوا يحاولون معهم في الصيام، والصلاة، والحج، وغير ذلك من الأمور الشرعية.

عن الرُّبَيع بنت معوذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: «**مَن أَصبَحَ مُفطِراً فَليُتِمَّ بَقِيَّةَ يَومِهِ، وَمَن أَصبَحَ صائِماً فَليَصُم**»، قالَت: فَكُنّا

نَصُومُـهُ بَعدُ، وَنُصَوِّمُ صِبيانَنـا، وَنَجعَلُ لَهُمُ اللُّعبَةَ مِنَ العِهنِ، فَإِذا بَكَى أَحَدُهُم عَلَى الطَّعامِ أَعطَيناهُ ذاكَ حَتَّى يَكُونَ عِندَ الإِفطارِ[١].

وتربيـة الطفـل على نيل ما يتمناه لا تعود عليه بالضرر الدينـي فقط، بل هي ضارة له في دنيـاه أيضـا، فقد يصيب الأهـلَ شيءٌ من مصائب الدنيا وجوائحهـا، فيذهب عنهم مالهم، وتضيـق عليهم معيشـتهم، أو قد يتوفى معيـل الأسرة، ففي ذلك الوقت كيف سـتُلبَّى لهذا الطفل رغباته؟! وكيف سينال أمانيه وأحلامه؟!

ثم بعد ذلك إذا خاض غمار الحياة ومعتركها سـيجد أن أهله ليسـوا قادرين على إعطائه كل ما يتمناه، خاصةً إذا دخل مرحلة الاستقلال بالنفس، وبناء بيت الزوجية، فسيتمنى أن يعمل عملاً معيناً، ولا يستطيع الوصول إليه.

وكذلك الفتاة التي تعودت على الدلال والرفاهية، قد تتزوج شـخصاً ليس في مسـتوى أهلهـا المـالي، فتتبرم من ذلك وتتأفف، وقد تعيِّر زوجهـا بأنه فقير، وتدخل حياتها في دوامة من الصراعات والنزاعات التي تفسد عليها استقرارها النفسي، وراحتها مع زوجها.

ثانياً: مجالسة أهل الأهواء ومصاحبتهم:

إن العواطف والدوافع تنمو بالمجالسـة وطول الصحبة، فمن لازم مجالسـة أهل الهوى وأدام صحبتهم فلا بد أن يتأثر بهم، لاسـيما إن كان ضعيف الشـخصية، وعنده قابلية للتأثر بمن حوله.

ولذلك كان السـلف ينهون عن مجالسـة أهل البدع والأهواء، قال أبو قلابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تُجالِسُـوا أَصحابَ الأَهـواءِ»، أَو قالَ «أَصحابَ الخُصُوماتِ؛ فَإِنِّي لا آمَنُ أَن يَغمِسُـوكُم في ضَلالَتِهِم، أَو يَلبِسُوا عَلَيكُم بَعضَ ما تَعرِفُونَ»[٢].

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَعُلَماءُ السُّنَّةِ مُتَّفِقونَ عَلَى مُعاداةِ أَهلِ البِدعَةِ، وَمُهاجَرَتِهِم»[٣].

---

(١) رواه البخاري (١٩٦٠)، ومسلم (١١٣٦).

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد (٩٩).

(٣) شرح السنة (١/ ٢٢٧).

ثالثاً: ضعف المعرفة الحقة بالله، والدار الآخرة:

الـذي لا يَقـدُر ربَّه حق قـدره؛ لا يبالي إذا أغضبه، أو عصاه، ليـس في قلبه توقيرٌ لله ولا تعظيـمٌ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

رابعاً: عدم قيام الآخرين بما يجب عليهم نحو صاحب الهوى:

تقصير الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ يؤدي إلى تمادي صاحب الهوى في هواه، ومضيه في طريقه بلا مبالاة، حتى يتمكن الهوى من قلبه، ويسيطر على سلوكياته وتصرفاته.

ولذلـك جاء الإسـلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمـران: ١٠٤]، وقال سـبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال جل شأنه: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣].

فـإذا تعـود النـاس كافةً على إنـكار المنكر؛ كان رادعـاً لأصحاب الهوى عـن التمادي في طريقهم.

خامساً: حب الدنيا والركون إليها:

مَن أحب الدنيا، وركن إليها، ونسي الآخرة؛ تولَّد عنده سعي حثيث لتلبية كل ما يفرضه هذا الحب، وذلك الركون، حتى وإن كان مخالفاً لمنهج الله، وذلك بعينه هو اتباع الهوى.

وقد لفت المولى النظر إلى هذا السـبب، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧-٨].

سادساً: المسارعة في الحصول على ما تشتهيه النفس من المباحات:

الإنسان متى ما دعته نفسه إلى شيءٍ من المباحات أسرع إلى إجابتها، وقد كان أهل العلم يربّون طلابهم على مخالفة ما تهواه أنفسهم من المباحات.

دخل خَلف بن خَليفة على سليمان بن حَبيب بن المهلَّب رَحِمَهُمَاٱللَّهُ بالأهواز، وعند سليمان جارية له يقال لها: البدر، من أحسنِ الجواري وجهاً وأكملِه، فقال سليمان لخلف: كيف ترى هذه الجارية؟ فقال: أصلح الله الأمير، ما رأت عيناي جاريةً قط أحسن منها، فقال: خُذ بيدها. فقال خلف: ما كنتُ لأفعل، ولا أسلبها الأمير، وقد عرفتُ عُجبه بها. فقال: خُذها -ويحك- على عجبي بها؛ لِيعلَم هَواي أني غالب.

فَأَخذَ بيدِها وخرجَ وهو يَقولُ:

لَقَد حَبانِي وَأَعطانِي وَفَضَّلَنِي عَن غَيرِ مَسأَلَةٍ مِنِّي سُلَيمانُ
أَعطانِيَ البَدرَ خَوداً في مَجاسِدِها والبَدرُ لَم يُعطَهُ إِنسٌ وَلا جانُ!![1]

فحرمان النفس من بعض المباحات؛ لأجل التعويد على الصبر، يعود عليها بالنفع، خاصةً إذا واجهت شهواتها وأمانيها المحرمة، ولكن إذا كانت قد عُوِّدت على نيل المباحات، فإنها تضعف أمام المحرمات.

سابعاً: الجهل بالعواقب المترتبة على اتباع الهوى:

الجهل بعاقبة الشيء داعٍ إلى ممارسته، وللهوى أضرار ومفاسد قد تدفع صاحب الهوى إلى ترك هواه إذا علمها.

أنشد أحمد بن القاسم الطبراني:

سَأَحذَرُ ما يُخافُ عَلَيَّ مِنهُ وَأَترُكُ ما هَوَيتُ لِما خَشِيتُ[2]

❊ ❊ ❊

(١) ذم الهوى (ص٢٦).
(٢) تاريخ دمشق (٧/ ٣٧٢).

أضرار اتباع الهوى

الهوى له أضراره الكثيرة، العاجلة والآجلة، والتي تمنع الإنسان من التلذذ به، وتنسيه ما كان قد تَنَعَّم به.

وقد قيل: «إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم؛ فإنّ عاجلها ذميم، وآجلها وخيم، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب، فسوّفها بالتأميل والإرغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعا على النفس ذلت لهما وانقادت»[١].

فما هي أضرار اتباع الهوى؟

خسران الآخرة:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

قال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّما سُمِّيَ الهَوَى لِأَنَّهُ يَهوِي بِصاحِبِهِ»[٢].

وعن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «مَن كان الأجوفان همّه؛ خسر ميزانه يوم القيامة»[٣]، ويقصد بالأجوفين: شهوة البطن، وشهوة الفرج.

وصاحب الهوى تراه في ذلك اليوم متخبطاً بسبب هواه، ويُصرع عن النهوض يوم القيامة، والسعي مع الناجين، كما صُرع في الدنيا بمرافقته لأهل الأهواء، قال محمد بن أبي

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص٢١).

(٢) سنن الدارمي (٣٩٥).

(٣) الزهد لابن المبارك (١/ ٢١٧).

الـورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن لله عَزَّوَجَلَّ يومـاً لا ينجو من شره منقاد لهـواه، وإنّ أبطأ الصرعى نهضةً يوم القيامة صريعُ الشهوة»[١].

وقال ابنُ عَطاءٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن غَلَبَ هَواهُ عَقلَهُ وَجَزَعُهُ صَبرَهُ افتُضِحَ»[٢]. أي: افتضح يوم الدين الفضيحة الكبرى، بخسرانه الآخرة ودخوله النار.

وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهَوَى يُردِي، وَخَوفُ اللهِ يَشفي، واعلَم أَنَّ ما يُزِيلُ عَن قَلبِكَ هَواكَ إِذا خِفتَ مَن تَعلَمَ أَنَّهُ يَراكُ»[٣].

الهوى يقود إلى الضلال:

أصـل كل ضـلال اتباع الظن والهوى، قال سـبحانه في أصحـاب الضلال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]؛ فلأجل اتباعهم الظن وهوى النفس وقعوا في الضلال.

ولا يكتفـي الهـوى بإضـلال صاحبـه؛ بل يتعـداه إلى إضـلال الآخريـن وإبعادهم عن الطريق، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩] أي: يضلون غيرهم بسبب هواهم.

عدم الانتفاع بالقرآن والمواعظ:

الهـوى يصد عن فهم القرآن، والانتفاع بمواعظه وأحكامه، وقد كان أصحاب الأهواء يستمعون القرآن مِن فيِّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مباشرة، ومع ذلك لم يكونوا ينتفعون به، يقول الله تعـالى عنهـم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

فعـدم الاسـتجابة لأوامر القرآن والسـنة هـي دليل اتباع الهـوى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠].

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٣٩٥).

(٢) ذم الهوى (ص٢٧).

(٣) حلية الأولياء (٨/ ١٨).

وعـن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إِنَّما أَخافُ عَلَيكُـمُ اثنَتَينِ: طُولَ الأَمَلِ، واتِّباعَ الهَوَى، فَإِنَّ طُولَ الأَمَـلِ يُنـسِي الآخِرَةَ، وَإِنَّ اتِّباعَ الهَوَى يَصُـدُّ عَنِ الحَقِّ، وَإِنَّ الدُّنيا قَـد تَرَحَّلَت مُدبِرَةً، وَإِنَّ الآخِـرَةَ مُقبِلَـةٌ، وَلِكُلٍّ واحِـدَةٍ مِنهُما بَنُـونَ، فَكُونُوا مِن أَبنـاءِ الآخِرَةِ، فَإِنَّ اليَـومَ عَمَلٌ وَلا حِسابَ، وَغَداً حِسابٌ وَلا عَمَلَ»[١].

الهوى يُفسد القلب ويحول بينه وبين السلامة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقَلبُ السَّلِيمُ هُوَ الَّذِي سَلِمَ مِنَ الشِّركِ، والغِلِّ، والحِقدِ، والحَسَدِ، والشُّحِّ، والكِبرِ، وَحُبِّ الدُّنيا، والرِّياسَةِ، فَسَلِمَ مِن كُلِّ آفَةٍ تُبعِدُهُ عَنِ اللهِ، وَسَلِمَ مِن كُلِّ شُبهَةٍ تُعارِضُ خَبَرَهُ، وَمِن كُلِّ شَهوَةٍ تُعارِضُ أَمرَهُ، وَسَلِمَ مِن كُلِّ إِرادَةٍ تُزاحِمُ مُرادَهُ، وَسَلِمَ مِن كُلِّ قاطِعٍ يَقطَعُ عَنِ اللهِ، فَهَذا القَلبُ السَّلِيمُ في جَنَّةٍ مُعَجَّلَةٍ في الدُّنيا، وَفي جَنَّةٍ في البَرزَخِ، وَفي جَنَّةٍ يَومِ المَعادِ. وَلا تَتِمُّ لَهُ سَـلامَتُهُ مُطلَقاً حَتَّى يَسـلَمَ مِن خَمسَةِ أَشـياءَ: مِن شِركٍ يُناقِضُ التَّوحِيدَ، وَبِدعَـةٍ تُخالِفُ السُّـنَّةَ، وَشَـهوَةٍ تُخالِفُ الأَمرَ، وَغَفلَـةٍ تُناقِضُ الذِّكرَ، وَهَـوًى يُناقِضُ التَّجرِيدَ والإِخلاصَ. وَهَذِهِ الخَمسَةُ حُجُبٌ عَنِ اللهِ، وَتَحتَ كُلِّ واحِدٍ مِنها أَنواعٌ كَثِيرَةٌ، تَتَضَمَّنُ أَفراداً لا تَنحَـصِرُ؛ وَلِذَلِـكَ اشـتَدَّت حاجَةُ العَبـدِ، بَل ضَرُورَتُـهُ، إِلى أَن يَسـأَلَ اللهَ أَن يَهدِيَهُ الصِّراطَ المُستَقِيمَ، فَلَيسَ شَيءٌ أَحوَجَ مِنهُ إِلى هَذِهِ الدَّعوَةِ، وَلَيسَ شَيءٌ أَنفَعَ لَهُ مِنها»[٢].

سبب لذهاب العقل والعلم:

قال المعتصم يوماً لأبي إسحاق الموصلي: «يا أبا إسحاق، إذا نُصِرَ الهوى ذهب الرأي»[٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «سمعت رجلاً يقول لشيخنا ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا خان الرجل في نقد الدراهم سـلبه الله معرفة النقد أو نسـيه، فقال الشيخ: هكذا من خان الله تعالى ورسوله في مسائل العلم»[٤].

فمن اتبع هواه فيها فإن الله عَزَّوَجَلَّ يسلبه العقل والعلم.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٤٩٥).

(٢) الجواب الكافي (ص٥٨-٥٩).

(٣) تاريخ بغداد (٢/ ٣١١).

(٤) روضة المحبين (ص٤٨٠).

الانسلاخ من الإيمان دون الشعور بذلك:

قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

قال بعض العلماء: «الكُفرُ في أَربَعَةِ أَشياءَ: في الغَضَبِ والشَّهوَةِ، والرَّغبَةِ، والرَّهبَةِ» ثُمَّ قالَ: «رَأَيت مِنهُ اثنَتَينِ: رَجُلا غَضِبَ فَقَتَلَ أُمَّهُ، وَرَأَيتُ رَجُلا عَشِقَ فَتَنَصَّرَ»[١].

وكان أحدهم يطوف بالبيت، فنظر إلى امرأة جميلة، فمشى إلى جانبها، ثم قال:

أَهوَى هَوَى الدِّينِ واللَّذّاتُ تُعجِبُنِي ... فَكيفَ لِي بِهَوَى اللَّذّاتِ والدِّينِ

فقالت: «دع أحدهما تنل الآخر»[٢].

فلا يمكن الجمع بين الهوى والدين.

الهوى مهلك من المهلكات:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلاثٌ مُهلِكاتٌ: شُحٌّ مُطاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعجابُ المَرءِ بِنَفسِهِ**»[٣].

وعن وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «أعون الأخلاق على الدين: الزهادة في الدنيا، وأوشكها ردًى: اتباع الهوى، ومِن اتباع الهوى: الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة في الدنيا: حب المال والشرف، ومن حب المال والشرف: استحلال المحارم، ومِن استحلال المحارم يَغضب الله، وغضب الله الداءُ الذي لا دواء له إلا رضوان الله، ورضوان الله دواء لا يضر معه داء، ومن يريد أن يرضي ربه: يسخط نفسه، ومن لا يسخط نفسه لا يرضي ربه، إن كان كلما ثقل على الإنسان شيء من دينه تركه، أوشك أن لا يبقى معه شيء»[٤].

---

(١) ذم الهوى (ص٢٤).

(٢) روضة المحبين (ص٤٧٩).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٤٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣٩).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥١٦٨).

يُغلق على العبد أبواب التوفيق:

قال الفضيل بن عياض: «من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات؛ انقطعت عنه موارد التوفيق»[١].

فصاحب الهوى يتخبط في طريقه، ولا يوفَّق إلى الطريق المستقيم؛ لأنه أعرض عن مصدر الهداية والتوفيق، وصار متبعاً لهواه، لا للكتاب والسنة، فكيف يوفَّق للطريق الصحيح!، قال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

الهوى سبب لتلاشي الطاعة وانعدامها:

لأن صاحب الهوى يعزّ عليه ويكبر في نفسه أن يطيع غيره، حتى لو كان خالقه، وبعض الناس ما أوقعهم في الكفر إلا هذا؛ لأن الهوى تمكّن من قلبه وملك عليه أقطار نفسه، فصار له أسيراً، وصار هواه موقعاً له في الغرور، والإنسان ليس له قلبان في جوفه، فإما أن يطيع ربه، وإما أن يطيع نفسه وهواه وشيطانه.

سبب للاستهانة بالذنوب والآثام:

فإن المتبع للهوى يقسو قلبه، وإذا قسا القلب استهان بالذنوب والآثام، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قاعِدٌ تَحتَ جَبَلٍ يَخافُ أَن يَقَعَ عَلَيهِ، وَإِنَّ الفاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبابٍ مَرَّ عَلَى أَنفِهِ فَقالَ بِهِ هَكَذا»[٢].

سبب للابتداع في الدين:

قال حماد بن سلمة رَحِمَهُ اللَّهُ: «حدثني شيخ للرافضة تاب، قال: كنا إذا اجتمعنا واستحسنا شيئاً جعلناه حديثاً»[٣].

---

(١) روضة المحبين (ص٤٧٩).

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٨).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ١٣٨).

سبب لضيق المعيشة وعداوة الناس:

إن أصل العداوة والشر والحسد الواقع بين الناس مِن اتباع الهوى، فمن خالف هواه أراح قلبه وبدنه وجوارحه؛ فاستراح وأراح، ومن أطاع هواه عاش عيشة مظلمة، وكره الناس وكرهوه.

وقال الحسن: «حادثوا هذه القلوب بذكر الله، فإنها سريعة الدثور، واقدعوا هذه الأنفس فإنها طلاعة، وإنما تنزع إلى شر غاية، وإنكم إن تطيعوها في كل ما تنزع إليه، لا تبقي لكم شيئا»[١].

وقال أبو بكر الوراق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا غلب الهوى أظلم القلب، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق، وإذا ساء الخلق أبغضه الخلق، وإذا أبغضه الخلق أبغضهم»[٢].

ثم إذا كبر الإنسان وبلغ مبلغ الشيخوخة وجد مساوئ اتباعه لهواه، قال الشاعر:

مَآرِبُ كانَت في الشَّبابِ لَأَهلِها عِذاباً فَصارَت في المَشِيبِ عَذاباً[٣]

أي: مآرب وحاجات كانت عذبة وجميلة للمرء عندما كان شاباً؛ انقلبت عليه عذاباً في مشيبه.

سبب تمكين الإنسان لعدوه منه:

فإنّ أعدى عدو للمرء شيطانه، وأصدق صديق له عقله الناصح له، والمَلَك الذي يلهمه الخير، فإذا اتبع هواه أعطى نفسه بيده لعدوه واستأسر له، وهذا بعينه جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

وكان يقال: «إذا غلب عليك عقلك فهو لك، وإذا غلب هواك فهو لعدوِّك»[٤].

---

(١) الزهد لابن المبارك (١/ ٩١).

(٢) ذم الهوى (ص٢٩).

(٣) الفوائد (ص٤٦).

(٤) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص١٧٢).

سبب لنيل ذم الناس:

يقال: إن هشام بن عبد الملك لم يقل بيت شعر قط، إلا هذا البيت:

إِذا أَنتَ لَم تَعصِ الهَوَى قادَكَ الهَوَى إلى بَعضِ ما فيهِ عَلَيكَ مَقالُ[١]

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو قال: إلى كل ما فيه عليك مقال؛ كان أبلغ وأحسن»[٢].

وللشافعي:

إِذا حارَ وَهمُكَ في مَعنَيَينِ
وَأَعياكَ حَيثُ الهَوَى والصَّواب
فَدَع ما هَوَيتَ فَإِنَّ الهَوَى
يَقُودُ النُّفُوسَ إلى ما يُعاب[٣]

سبب للذلِّ والهوان:

قال ابن المبارك:

وَمِنَ البَلاءِ وَلِلبَلاءِ عَلامَةٌ
أَن لا تَرَى لَكَ عَن هَواكَ نُزُوعُ
العَبدُ عَبدُ النَّفسِ في شَهَواتِها
والحُرُّ يَشبَعُ مَرَّةً وَيَجُوعُ[٤]

وسئل أحد الحكماء عن الهوى، فقال: «هوانٌ سُرقت نونه». وقد أخذ ذلك المعنى أحد الشعراء، فصاغه بقوله:

نُونُ الهَوانِ مِنَ الهَوَى مَسرُوقَةٌ فَإِذا هَوَيتَ فَقَد لَقِيتَ هَوانا[٥]

---

(١) البداية والنهاية (٩/ ٣٥٢).
(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص١٧١).
(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص١٧١).
(٤) تاريخ دمشق (٣٢/ ٤٦٨).
(٥) تفسير القرطبي (١٦/ ١٦٨).

وقال الشاعر:

وَلَقَد رَأَيتُ مَعاشِراً جَمَحَت بِهِم ... تِلكَ الطَّبِيعَةُ نَحوَ كُلِّ تَبارِ
تَهوَى نُفُوسُهُمُ هَوَى أَجسامِهِم ... شُغلاً بِكلِّ دَناءَةٍ وَصَغارِ
تَبِعُوا الهَوَى فَهَوَى بِهِم وَكَذا الهَوَى ... مِنهُ الهَوانُ بِأَهلِهِ فَحَذارِ
فانظُر بِعَينِ الحَقِّ لا عَين الهَوَى ... فالحَقُّ لِلعَينِ الجَلِيَّةِ عارِي[1]
قادَ الهَوَى الفُجّارَ فانقادُوا لَهُ ... وأبت عَلَيهِ مَقادَةُ الأَبرارِ[2]

❊ ❊ ❊

(١) عاري: واضح، ليس عليه غطاء يستره ويخفيه.
(٢) التبصرة لابن الجوزي (١/ ١٥٥).

فوائد مخالفة الهوى

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أفضل الجهاد: جهاد الهوى»[١].

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أشجع الناس: أشدهم من الهوى امتناعاً، ومن الـمُحَقَّراتِ تُنتَجُ الموبقات»[٢].

والعلاج الحقيقي لأدواء القلوب في مخالفة الهوى، يقول سهل بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هواك داؤك، فإن خالفته فدواؤك»[٣]. فما هي الفوائد المترتبة على مخالفة الإنسان لهوى نفسه؟

نيل الجنة:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

فمَن جاهد نفسه وصابرها على مخالفة هواها نال أفضل الجزاء يوم القيامة، وذلك بدخول الجنة، والعيش الهنيء والحسن، وذلك جزاء الصبر على الهوى، قال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢].

قال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ أي: بما صبروا عن الشهوات»[٤].

وَآفَةُ العَقلِ الهَوَى فَمَن عَلا ... عَلَى هَواهُ عَقلُه فَقَد نَجا[٥]

---

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٢٥١).

(٢) الآداب الشرعية (٣/ ٢٥١).

(٣) تفسير القرطبي (١٦/ ١٤٤).

(٤) حلية الأولياء (٩/ ٢٦٨).

(٥) الاستذكار (٢/ ٣٦٤).

النجاة من أهوال يوم المحشر:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سَبعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعالَى في ظِلِّهِ، يَومَ لاَ ظِلَّ إِلّا ظِلُّهُ: إِمامٌ عَدلٌ، وَشابٌّ نَشَأَ في عِبادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلبُهُ مُعَلَّقٌ في المَساجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحابّا في اللهِ، اجتَمَعا عَلَيهِ، وَتَفَرَّقا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتهُ امرَأَةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وَجَمالٍ فَقالَ: إِنِّي أَخافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخفاها؛ حَتَّى لاَ تَعلَمَ شِمالُهُ ما تُنفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خالِياً، فَفاضَت عَيناهُ**»[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا تأملت السبعة الذين يظلهم الله عَزَّوَجَلَّ في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله: وجدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفة الهوى؛ فإن الإمام المسلط القادر لا يتمكن من العدل إلا بمخالفة هواه، والشاب المؤثر لعبادة الله على داعي شبابه لولا مخالفة هواه لم يقدر على ذلك، والرجل الذي قلبه معلق بالمساجد إنما حمله على ذلك مخالفة الهوى الداعي له إلى أماكن اللذات، والمتصدق المخفي لصدقته عن شماله لولا قهره لهواه لم يقدر على ذلك، والذي دعته المرأة الجميلة الشريفة فخاف الله عَزَّوَجَلَّ وخالف هواه، والذي ذكر الله عَزَّوَجَلَّ خالياً ففاضت عيناه من خشيته إنما أوصله إلى ذلك مخالفة هواه، فلم يكن لِحَرِّ الموقف وعَرَقِه وشدته سبيل عليهم يوم القيامة، وأصحاب الهوى قد بلغ منهم الحَرّ والعَرق كل مبلغ، وهم ينتظرون بعد هذا دخول سجن الهوى»[٢].

الشرف والعلو:

قال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «المروءة: ترك الشهوات وعصيان الهوى، فاتباع الهوى يُزمن[٣] المروءة، ومخالفته تنعشها»[٤].

وقيل للمهلب بن أبي صفرة رَحِمَهُ اللَّهُ: «بَمَ نلت ما نلت من شرف العلو والمكانة؟ قال: بطاعة الحزم، وعصيان الهوى»[٥].

---

(١) رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) روضة المحبين (ص٤٨٥-٤٨٦).

(٣) أي: يصيبها بمرض مُزمِن، وهو المرض الذي يدوم زمناً طويلًا.

(٤) روضة المحبين (ص٤٧٧-٤٧٨).

(٥) العقل وفضله لابن أبي الدنيا (٩٢).

وقال بعضهم: «أشرف العلماء: من هرب بدينه من الدنيا، واستصعب قياده على الهوى»[١].

وقال أبو علي الدقاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن ملك شهوته في حال شيبته؛ أعزه الله تعالى في حال كهولته»[٢].

قال ابن عبد القوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَمَن هَجَرَ اللَّذّاتِ نالَ المُنَى وَمَن ... أَكَبَّ عَلَى اللَّذّاتِ عَضَّ عَلَى اليَدِ
وَفي قَمعِ أَهواءِ النُّفُوسِ اعتِزازُها ... وَفي نَيلِها ما تَشتَهي ذُلُّ سَرمَدِ
وَلا تَشتَغِل إِلّا بِما يُكسِبُ العُلا ... وَلا تُرضِ النَّفسَ النَّفيسَةَ بِالرَّدِي
وَفي خَلوَةِ الإِنسانِ بِالعِلمِ أُنسُهُ ... وَيَسلَمُ دِينُ المَرءِ عِندَ التَّوَحُّدِ
وَيَسلَمُ مِن قِيلٍ وَقالٍ وَمِن أَذى ... جَلِيسٍ وَمِن واشٍ بَغِيضٍ وَحُسَّدِ
فَكن حِلسَ بَيتٍ فَهوَ سِترٌ لِعَورَةٍ ... وَحِرزُ الفَتَى عَن كُلِّ غاوٍ وَمُفسِدِ
وَخَيرُ جَلِيسِ المَرءِ كُتبٌ تُفيدُهُ ... عُلُوماً وَآدابــاً وَعَقلاً مُؤَيَّدِ[٣]

تقوية العزائم:

اتباع الهوى يحل العزائم ويوهنها، ومخالفة الهوى تشد العزائم وتقويها، والعزيمة هي مركب العبد إلى الله والدار الآخرة، فمتى تعطل المركوب تعطل المسافر.

قيل ليحيى بن معاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أصح الناس عزماً؟ قال: الغالب لهواه»[٤].

حفظ الصحة:

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان بعض العلماء قد جاوز المائة سنة، وهو ممتَّع بقوته وعقله، فوثب يوماً وثبة شديدة، فعوتب في ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في

(١) ذم الهوى (ص٢٧).
(٢) روضة المحبين (ص٤٨٣).
(٣) الآداب الشرعية (٣/ ٣٠٣-٣٠٤).
(٤) ذم الهوى (ص٢٦).

الصغر؛ فحفظها الله علينا في الكبر. وعكس هذا: أن بعض السلف رأى شيخاً يسأل الناس فقال: إن هذا ضعيف، ضيع اللهَ في صغره؛ فضيعه الله في كبره»[١].

الحفظ من بلاء الدنيا:

قال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَشَدُّ الجِهادِ: جِهادُ الهَوَى، مَن مَنَعَ نَفسَهُ هَواها فَقَدِ استَراحَ مِنَ الدُّنيا وَبَلائِها، وَكانَ مَحفُوظاً مُعافًى مِن أَذاها»[٢].

❊ ❊ ❊

(١) جامع العلوم والحكم (ص١٨٦).

(٢) الزهد الكبير للبيهقي (ص٣٢٠).

علاج الهوى

مَـن وقـع في الهوى يحتاج إلى طرق لعلاج نفسـه مـن هواها؛ لعـل الله أن يرحمه ويلحقه بالصالحين.

ومن أهم الأدوية النافعة في علاج الهوى:

أولاً: الرجـوع إلى الله سـبحانه وتعالى، ودعاؤه عَزَّوَجَلَّ أن يقيـه شر هذه الأهواء، وقد كان هذا دأب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والسلف الصالح.

فعـن قطبـة بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**اللَّهُـمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن مُنكَراتِ الأَخلاقِ والأَعمالِ والأَهواءِ**»[١].

وقـال عمـر بـن عبد العزيـز لخالد بن صفـوان رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: عظنـي وأوجز، فقـال: «يا أمير المؤمنين، إن أقواماً غرهم سـتر الله، وفتنهم حسـن الثناء، فلا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك، أعاذانا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين، وعما افترض الله علينـا متخلفين ومقصريـن، وإلى الأهواء مائلين». فبكى، ثم قال: «أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى»[٢].

وكان إبراهيـم التيمي رَحِمَهُٱللَّهُ يدعو ويقول: «اللهم اعصمني بكتابك، وسـنة نبيك محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، مـن اختلاف في الحق، ومن اتباع الهوى بغير هدى منك، ومن سـبيل الضلال، ومن شبهات الأمور، ومن الزيغ، واللبس، والخصومات»[٣].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٩١)، وحسنه، وصححه الألباني.

(٢) حلية الأولياء (٨/ ١٨).

(٣) حلية الأولياء (٤/ ٢١٢).

ثانياً: ملء القلب بما يضاد الهوى:

وذلك بملئه بمحبة الله عَزَّوَجَلَّ، والقرب منه، حتى يَخرج الهوى بالكلية من هذا القلب.

ثالثاً: مخالطة العلماء وأهل الصلاح:

قال ابن عبد القوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَخالِط إِذا خالَطتَّ كُلَّ مُوَفَّقٍ ... مِنَ العُلَماءِ أَهلِ التُّقَى والتَّسَدُّدِ
يُفيدُكَ مِن عِلمٍ وَيَنهاكَ عَن هَوًى ... فَصاحِبهُ تُهدَ مِن هُداهُ وَتَرشُدِ
وَإِيّاكَ والهَمّازَ إِن قُمتَ عَنهُ والـ ... ـبَذِيَّ فَإِنَّ المَرءَ بِالمَرءِ يَقتَدِي
وَلا تَصحَبِ الحَمقَى فَذُو الجَهلِ إِن يَرُم ... صَلاحاً لِشَيءٍ يا أَخا الحَزمِ يُفسِدِ[1]

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملةً من الأمور التي يمكن للمرء أن يتخلّص من الهوى بالاستعانة بها -بعد عون الله له- فقال: «فإن قيل: فكيف يتخلص من هذا مَن قد وقع فيه؟

قيل: يمكنه التخلص -بعون الله وتوفيقه له- بأمور نذكر منها:

أحدها: عزيمة حُرٍّ يغار لنفسه، وعليها.

الثاني: جرعة صبر، يصبر نفسه على مرارتها تلك الساعة.

الثالث: قوة نفس تشجعه على شرب تلك الجرعة، والشجاعة كلها صبر ساعة، وخير عيش أدركه العبد بصبره.

الرابع: ملاحظته حسن موقع العاقبة، والشفاء بتلك الجرعة.

الخامس: ملاحظته الألم الزائد على لذة طاعة هواه.

السادس: إبقاؤه على منزلته عند الله تعالى، وفي قلوب عباده، وهو خير وأنفع له من لذة موافقة الهوى.

السابع: إيثاره لذة العفة وعزتها وحلاوتها، على لذة المعصية.

الثامن: فرحه بغلبة عدوه، وقهره له، ورده خاسئاً بغيظه وغمه وهمه، حيث لم ينل منه أمنيته، والله تعالى يحب من عبده أن يراغم عدوه ويغيظه. كما قال الله تعالى في كتابه العزيز:

---

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٣٠٤).

﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌ﴾ [التوبة: ١٢٠]. وعلامة المحبة الصادقة مغايظة أعداء المحبوب ومراغمتهم.

التاسع: معرفة أن مخالفة الهوى توجب شرف الدنيا وشرف الآخرة، وعز الظاهر وعز الباطن، ومتابعته تضع العبد في الدنيا والآخرة، وتذله في الظاهر وفي الباطن»[1].

* * *

(١) انظر: روضة المحبين (ص٤٧١-٤٨٥).

الهوى المحمود والهوى المذموم

لا ينبغي ذم الهوى مطلقاً، ولا مدحه مطلقاً، وإنما يذم الإفراط فيه، فما زاد على جلب المنافع ودفع المضار: أصبح مذموماً.

وهناك هوًى محمود، يحبه الله ورسوله، وذلك عندما تصبح النفس تهوى ما يحبه الله ورسوله.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأقول: أتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ٥١] قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك»[(١)].

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يهوى بعض الأمور، وكان سبحانه وتعالى يُنزل القرآن موافقاً لهواه؛ مما يدل على أن مما تهواه النفس ما هو محمود وممدوح.

ومن الأمور التي كان يهواها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن تنتقل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وسبب ذلك -كما ذكره العلماء- أنه كان يهوى اتباع قبلة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ[(٢)].

وعن أبي برزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ مِمَّا أَخشَى عَلَيكُم: شَهَواتِ الغَيِّ في بُطُونِكُم وَفُرُوجِكُم، وَمُضِلّاتِ الهَوَى**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٤٧٨٨).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٢).

(٣) رواه أحمد (١٩٧٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٥٢).

فلـم يخـشَ النبي ﷺ عـلى أمته جميـع الهوى؛ بل خـشي عليهم مضـلات الهوى، فالهوى قد يكون مضلاً وهو الذي يتصور منه إفساد العقل والدين، وأما الهوى غير المضل: فليس بذلك؛ لأجل هذا لم يحذر النبي ﷺ منه.

ولكـن الهـوى المذموم أكثـر، ولأجل ذلك نجد كثـيراً من الآيات القرآنيـة والأحاديث النبوية والآثار عن السـلف من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم تذم الهوى، وإنما يُراد بتلك النصوص: الهوى المذموم، لا مطلق الهوى.

قـال ابن القيـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما كان الغالب من مطيع هواه وشـهوته أنه لا يقف فيه على حد المنتفـع بـه؛ أطلق ذم الهوى والشـهوة؛ لعموم غلبة الضرر، ولأنه ينـدر من يقصد العدل في ذلـك، ويقـف عنده؛ فلذلـك لم يذكر الله تعالى الهوى في كتابه إلا ذمه، وكذلك في السـنة، لم يجئ إلا مذموماً، إلا ما جاء منه مقيداً»[1].

ومما ورد في السنة من الهوى الذي لا يذم: حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا السابق.

وعـن عبـد الله بـن عمرو بن العـاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبـي ﷺ أنه قـال: «**لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يَكُونَ هَواهُ تَبَعاً لِما جِئتُ بِهِ**»[2].

فـدلّ الحديـث على أن هناك من الهوى ما يكون محموداً، وهـو الهوى الذي يكون تبعاً لما جاءت به الشريعة السمحاء.

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا -في قصة أسـارى بدر- قال: لَمّا أَسَرُوا الأُسـارَى، قالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكـرٍ، وَعُمَـرَ: «**ما تَرَونَ في هَؤُلاءِ الأُسـارَى؟**» فَقالَ أَبُو بَكرٍ: يا نَبِيَّ اللهِ، هُم بَنُو العَمِّ والعَشِـيرَةِ، أَرَى أَن تَأخُذَ مِنهُم فِديَةً؛ فتَكُونُ لَنا قُوَّةً عَلَى الكُفّارِ، فَعَسَـى اللهُ أَن يَهدِيَهُم لِلإِسـلامِ، فَقالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**ما تَرَى يا ابنَ الخَطّابِ؟**» قال عمر: قُلتُ: لا واللهِ يـا رَسُـولَ اللهِ، ما أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكرٍ، وَلَكِنِّـي أَرَى أَن تُمَكِّنّا فَنَضرِبَ أَعناقَهُم، فَتُمَكِّنَ عَلِيّاً مِن عَقِيلٍ فَيَضرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِن فُلانٍ -نَسِـيباً لِعُمَرَ- فَأَضرِبَ عُنُقَهُ؛ فَإِنَّ

(١) روضة المحبين (ص٤٦٩) بتصرف.

(٢) رواه النسوي في كتاب الأربعين (٨)، وفي إسناده ضعف.

هَـؤُلاءِ أَئِمَّـةُ الكُفـرِ وَصَنادِيدُها. فَهَوِيَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ مـا قالَ أَبُو بَكـرٍ، وَلَمْ يَهوَ ما قُلتُ...[١].

فهذا نبي الرحمة ﷺ مال إلى قول الصديق وهويه؛ لأنه رأى فيه مصلحة الإسلام، فهو هوًى محمود؛ لأنه عن اجتهاد مبنيٍ على علم، مع أن القرآن نزل مصوّباً لرأي عمر بعد ذلك.

❊ ❊ ❊

(١) رواه مسلم (١٧٦٣).

الخاتمة

إن مجاهدة الهوى أمرٌ شديد، وشاق على النفس، وعلى الجسد، ولكن نتيجته حسنة، وثمرته لذيذة، لا يتخلى عنها إلا أصحاب الهمم الضعيفة السقيمة، يقول أبو العتاهية:

أَشَدُّ الجِهادِ جِهادُ الهَوَى وَما كَرَّمَ المَرءَ إِلّا التُّقَى[١]

وقال الشاعر:

صَبَرتُ عَنِ اللَّذّاتِ حَتَّى تَوَلَّتِ وَأَلزَمتُ نَفسِي صَبرَها فاستَمَرَّتِ
وَكانَت عَلَى الأَيّامِ نَفسِي عَزيزَةٌ فَلَمّا رَأَت صَبرِي عَلَى الذُّلِّ ذَلَّتِ
وَما النَّفسُ إِلا حَيثُ يَجعَلُها الفَتَى فَإِن أُطمِعَت تاقَت وَإِلا تَسَلَّتِ[٢]

وأكبر علامات عدم اتباع الهوى: هو الابتعاد عن زينة الحياة الدنيا وزخرفها، يقول مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن تباعد من زهرة الحياة الدنيا، فذلك الغالب لهواه»[٣].

والهوى يدخل على جميع الناس، وليس مختصاً بالجهال، أو بالصغار، بل يدخل قلوب العلماء، ويدخل قلوب أصحاب العقل والرأي والمشورة، ويدخل قلوب الكبار والصغار، والرجال والنساء.

قال بعض الحكماء: «إنما يحتاج اللبيب ذو الرأي والتجربة إلى المشاورة؛ ليتجرد له رأيه من هواه»[٤].

---

(١) مجمع الحكم والأمثال (١٠/ ٤٩٦).
(٢) ذم الهوى (ص١٤٣).
(٣) حلية الأولياء (٢/ ٣٦٤).
(٤) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص١٧١).

فليس لأحدٍ أن يقول: إن النهي عن اتباع الهوى لا ينالني؛ لأني لا أتبع هواي.

قال منصور الفقيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إِنَّ الـمَرائِـيَ لا تُرِيـــكَ خُدُوشَ وَجهِـكَ في صَداها

وَكَـذاكَ نَفسُـكَ لا تُرِيـكَ عُيُـوبَ نَفسِـكَ في هَواها[1]

بل قد يدخل الهوى قلوب أعقل الرجال، وأكثرهم تديناً وعلماً.

فنسـأل الله سـبحانه وتعالى أن يكفينا دواعي الهوى، وأن يصرف عنا سـبل الردى، وأن يجعل التوفيق لنا رائداً.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، لأبي عبيد البكري (ص٢٧٥).

اختبر فهمك

فيما يلي مستويان من الأسئلة حول الموضوع: أسئلة حلولها مباشرة، وهي أسئلة المستوى الأول.

وأسئلة تحتاج إلى بحث وتأمل، وهي أسئلة المستوى الثاني.

أسئلة المستوى الأول (المباشرة):

١. عرّف الهوى في اللغة والاصطلاح.
٢. لاتباع الهوى أسباب، اذكر أبرزها.
٣. لاتباع الهوى مفاسد وأضرار متعددة، فما هي؟
٤. اتباع الهوى داء، فما دواؤه؟

أسئلة المستوى الثاني (الاستنباطية):

١. متى يعاقَب الإنسان على اتباع الهوى؟
٢. لمخالفة الهوى فوائد متعددة، اذكر ما تيسر منها.
٣. ما القاسم المشترك بين السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم القيامة؟ وضح ذلك.
٤. ما هي أكبر علامة على عدم اتباعك للهوى؟